جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2021 – 2022

المستوى : ماستر1 السداسي : الأول التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: العمارة في المشرق الإسلامي

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: الطرز المعمارية للمساجد2

عمارة المساجد (الطرز المعمارية)

الطراز ذو المخطط المثمن

طراز معماري فريد من نوعه طُبّق في مسجد قبّة الصخرة الذي بُني بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ/ 691 م.

ويُعدّ النموذج الوحيد في العالم الإسلامي بأسره، إذ عمد المعماري المسلم هنا إلى تطبيق تصميم ذي مخطّط مثمن الشكل يعلوه قبّة نصف كروية، وقد ارتكزت القبّة على مجموعة من الأعمدة والدعامات.

مسجد قبة الصخرة:

تعد قبة الصخرة من أبدع ما تركه الأمويون من منشآت معمارية، كما أنه أقدم الآثار التي تركها المسلمون، وقد حافظ هذا المبنى على أصالته، ولم يتغير تصميمه عبر التاريخ الإسلامي، وقد شيد المسجد حسب الكتابة التذكارية عبد الملك بن مروان سنة 72هـ/ 992م لتكون مشهدا يحج إليه المسلمون بدلا من مكة التي كان بها منافسه عبد الله بن الزبير، كما أنه أقيم لينافس كنيسة المسيحين الكبيرة .

لقد وضع تصميم هذا المبنى كمشهد ليلائم الطواف على الصخرة التي يعتقد المسلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم صعد منها نحو السماء، ونبلغ أبعاد هذه الصخرة 18م طولا و13م عرضا، وارتفاعها عن الأرضية يقدر بحوالي 1.5م،

بالمسجد ذو تصميم مثمن الشكل، ويتألف من الخارج من جدران حجرية ارتفاعها 9.50م تعلوها ستارة فوق سطح البناء ارتفاعها 1.50م، وفي كل جدار من جدران المثمن بائكة مصمتة، تضم كل بائكة سبعة عقود بداخله نافذة، ليصل عددها 40 نافذة، إضافة إلى 16 نافذة مفتوحة على مستوى رقبة القبة، كما فتحت وسط أضلاع المثمن المتجهة نحو الجهات الأصلية الأربعة أربعة أبواب.

يلي المثمن الخارجي مثمن داخلي يشكله ثماني دعامات، وبين كل دعامتين عمودان، وكل هذه الركائز تحمل 24 عقدا، بمقدار ثلاثة عقود في كل ضلع.

تغطس قبة الصخرة قبة تتكون من قاعدة دائرية الشكل مؤلفة من 16 بائكة ذات عقود نصف دائرية ترتكز على أربع دعامات، تتخللها ثلاثة أعمدة رخامية، وعلو القاعدة رقبة القبة وهي ذات شكل أسطواني فتحت فيها 16 نافذة، وتليها طاسة (طاقية) القبة التي تتكون من طبقتين من الخشب بينهما فراغ ، وقد كسيت القبة من الخارج بطبقة من الرصاص وصفائح النحاس المذهب، في حين طلي باطنها بطبقة جصية مزينة بزخارف ملونة.

زين مبنى قبة الصخرة داخليا وخارجيا بزخارف زادته ورنقا وروعة، وكان الترخيم والفسيفساء الخزفية من أهم تلك التشكيلات الزخرفية، وما تزال الفسيفساء بالداخل تحافظ على حلتها المشكلة من زخارف متنوعة نباتية وهندسية وخطية، كما توجد بداخل المبنى تلك الكتابة التذكارية التي تحلي الجزء العلوي من التثمينة، وهي ذات الخط الكوفي المذهب، وهي موضوعة على أرضية زرقاء، وقوامها آيات قرآنية وعبارة تشير إلى تاريخ البناء ونص جزء منها كما يأتي:

"بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين اثنين وسبعين"، ولكن أسماء الخليفة المأمون وألقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف سائر الخط المستعمل، فضلا من أن سنة 72هـ لا تقع في حكم المأمون، بل في حكم عبد الملك بن مروان.

المساجد ذات الإيوانات:

لقد طبّق السلاجقة في إيران طرازا معماريا جديدا في تصميم المساجد، ويتعلّق الأمر باستخدام الإيوان كعنصر معماري بارز. إذ يرتفع في وسط كلّ رواق من أروقة الصحن الأربعة إيوان ضخم، منفتح نحو الصحن بعقد مذبب، واتُّخذ إيوان القبلة بيتا للصلاة، وقد طُبّق هذا التصميم لأوّل مرّة في مسجد الجمعة بأصفهان الذي شُيّد بأمر من السلطان ملك شاه السلجوقي سنة 476 هـ/ 1080م أو قبل ذلك بقليل.

وأصبح نموذجا تقليديا في مساجد إيران وآسيا الصغرى عامّة. وبلغ هذا الطراز ذروته وكماله في مسجد شاه عباس بأصفهان (1021 – 1040 هـ /1612 – 1630 م)

ينتقل بعد ذلك إلى مصر في عهد المماليك، ويتّضح ذلك جليّا في جامع قايتباي (890 هـ/ 1485م)

جامع الجمعة بأصفهان:

يعود المسجد إلى الفترة العباسية حوالي القرن 10م، وكان يشبه في تصميمه جامع سامراء بشكله المستطيل الذي يمتد نحو العمق، وكان بيت الصلاة يتألف من سبعة أساكيب موازية لجدار القبلة، بينما كانت المحنيتان تتشكلان من ثلاثة أروقة، في حين كانت المؤخرة تتكون من أربعة أروقة، وكان السقف يرتكز مباشرة على الأعمدة، وفي العهد السلجوقي شهد الجامع تعديلات وإضافات مهمّة غيّرت من تصميمه، حيث أضيفت في عهد الملك شاه السلجوقي (481هـ/1088م) قبّة ضخمة مبنية بالآجر أمام المحراب قطرها 15م، واستخدمت في منطقة انتقالها حنايا ركنية، وزخرفت القبّة بشريط كتابي دائري بالخط الكوفي فوق الاجر ويحمل اسم نظام الملك والسلطان ملك شاه، ثم بنيت قبّة أخرى وراء الإيوان الشمالي حوالي 680هـ/1088م، وكل القباب مبنية بالأجر ولا تحمل زخارف جصية، بل آجريه.

وجدّدت أجزاء من الجامع إثر الحريق الذي أصابه عام 505هـ/1122م، والشيء المهم في تصميم هذا الجامع أنّه استخدمت فيه الأواوين الأربعة المطلة على الصحن، وقد توالت على الصحن إصلاحات أخرى في عهد الدولة المغولية والصفوية.

مسجد الشاه عباس :

شيد في عهد الشاه عباس الكبير بأصفهان عام (1611–1638م) عند مهاية الميدان الكبير من جهة الجنوب، وجعل مدخله الرئيسي مفتوحا على الميدان بمثابة إيوان كبير وضخم مزيّن بالمقرنصات، وتحف من الجانبين مئذنتان رفيقتان رشيقتان.

يؤدي الإيوان إلى ممر وقاعة مغطّاة بقبّة، وينحرف الإيوان بمحور منكسر بهدف توجيه المبنى كليا عن محور المدخل متجها نحو القبلة (جنوب غرب)، والشيء الملاحظ حضور التقاليد المعمارية السلجوقية، إذ ينفتح نحو الصحن أربعة أواوين والأروقة الجانبية ذات الصفين من العقود.

يتميز الإيوان القبلي (بيت الصلاة) بوجود مئذنتين تأخذان موقعهما في الطرفين كما هو الشأن في المدخل الرئيسي، وهي مآذن ذات مسقط دائري أسطوانية رشيقة، ويلي الإيوانات قاعات مغطاة بقبة.

ويتميز بيت الصلاة بقبّة كبيرة متكوّنة من طاقيتين بينهما فراغ، وغطيت المساحات المتبقية من الجانبين بأربع قباب يحملها عقود حدوية مدببة، وعلى جانبي يبت الصلاة صحنان

مستطيلا الشكل تتوسطهما برك، ويحيط بهما رواق من كل الجهات، وليس لدينا فكرة عن وظيفة الصحنين، ولعلهما استخدما للتدريس في أيام الصيف الحارة، ويزين الجامع كسوات رخامية تعلوها الفسيفساء الخزفية.

جامع الظاهر برقوق:

أنشأها الظاهر أبو سعيد برقوق سنة 1384/786م، وكان الفراغ منها سنة 788هـ/1386م، وقد باشر البناء الأمير جركس الخليلي ومهندسها شهاب الدين أحمد بن الطولوني، جاء اجامع ضمن مجمع معماري يضم إلى جانب الجامع مدرسة وخنقاء.

في الطرف الشرقي من الواجهة الرئيسية الجنوبية الشرقية ترتفع المئذنة الضخمة ذات الأبعاد المتناسقة، وقد قسّمها بالرخام، ويتوسط هذه الواجهة شبابيك ذات مصاريع خشبية، يوجد درج في الطرف الجنوبي يؤدّي إلى المدخل الرئيسي المكسو بالرخام الملوّن وذي مصراعين من الخشب المصفح بالنحاس، يؤدّي المدخل إلى بهو مغطي بقبّة مضلعة مبنية بالحجر الأحمر والأبيض بالتناوب، وبضلع البهو الشمالي باب يؤدّي إلي ممو يصل إلى الصحن ذي التصميم المتعامد، حيث تأخذ أربعة أواوين موقعها وسط كل جانب، وأكبرها الأيوان القبلي الذي صمم ليكون مسجدا، وقد قسّم هذا الجزء إلى أربعة أعمدة التي تحمل القبّة.

والمحراب تكسوه لوحات رخامية مختلفة الأحجام والألوان ومحلي بفصوص من الصدف، ويوجد إلى جانب المحراب منبر وهو من أعمال السلطان محمد أبو السعيد جقمق.

طراز المساجد ذات القبة المركزية:

لقد أراد المعماري العثماني من خلال تجاربه المتواصلة التقليص من عدد الأعمدة والدعامات بحثا عن وحدة مكانية داخل بيت الصلاة، إذ تعدّ هذه الركائز في نظره معرقلة للوحدة المكانية التي تؤدّي إلى وحدة صفوف المصلين. وانطلاقا من هذه الفكرة أخذ يبحث عن تصميم جديد لبيت الصلاة، فتمكّن من تحقيق هذه الفكرة باستعمال القبّة الضخمة لتغطية بيت الصلاة، وبعد تجارب عديدة في مسجد ذي ثلاث شرفات (851 هـ / 1447 م) بأدرنة، ومسجد محمد الفاتح (867 – 875 هـ/ 1462 – 1470م) وجامع بايزيد (912هـ / 1506م) وجامع السليمانية (965هـ/1557م) بإستانبول. وأخيرا توصّل المعماري الفذّ سنان باشا من تجسيد التصميم الأنسب لهذا الطراز في جامع السليمية بأدرنة (980 هـ/ 1572م)

جامع السليمية بأدرنة:

شيّد الجامع المهندس الفذ سنان باشا سنة 976-982هـ/1569-1675م بأمر من السلطان سليم الثاني بأدرنة، وقد توصّل سنان باشا في هذا الجامع إلى المخطط الأمثل والأنسب للتصميم ذي المربع المركزي (القبّة المركزية)، وذلك بعد تجارب كثيرة وعديدة، وكان مصدر إلهامه تصميم أوچ شرفلي بأدرنة، فبنى جامع أحمد باشا بأستانبول (طوب قايو) سنة 1555م، وجامع سنان باشا بأستانبول(بيشبكتاش) سنة1555م وجامع صوقللي سنة 1571م وجوامع أخرى تحمل مواصفات تصميم أوچ شرفلي، حيث أنّ القبّة المركزية ترتكز على ست نقاط ارتكاز، ويبدو أنّ سنان باشا قد حضّر لمخطط جامع سليمية أحسن تحضير، إذ يعتبره أعظم أعماله.

يتألف الجامع من بيت للصلاة مستطيل الشكل طوله 45م وعرضه 36م، تغطيها قبّة كبيرة قطرها 31,50م وارتفاعها 53م، ترتكز على ثمانية أساطين ضخمة ذات أخاديد ولا تحمل تيجانا، وقد تم سحبها نحو الأركان، بحيث تبرز الوحدة المكانية بصفة جليّة، وتستمر هذه الأساطين في الارتفاع لتبرز نحو الخارج على هيئة أبراج التفوية، ودورها تدعيم القبّة من الخارج، وتربط هذه الأساطين من الداخل عقود مدببة مبنية بحجارة ملونة حمراء وبيضاء، وفي جدار القبلة فإنّ قبّة المحراب تنتهي بصفوف من المقرنصات في أعلاها، والمحراب ذو إطار رخامي، ويشكّل بروزا نحو الخارج بمقدار 6م، وقد غطي بنصف قبّة وبشكّل منطقة انتقالها مثلثات كروية تحمل مقرنصات، وأمّا المساحات ذات الشكل المثلث المتبقية في الأركان فقد غطيت بربع قبّة، يوجد إلى جانب المحراب منبر من الرخام المزيّن بزخارف متنوعة بديعة تدل على براعة الفنان العثماني في الابتكار والإبداع، كما تزين منطقة المحراب وأعلى النوافذ السفلى بلاطات خزفية مشكلة بلوحات فنية تعد قمّة في فن الخزف العثماني.

ويزيد من جمال الجامع ورونقة تلك البلاطات الخزفية التي تزيّن مقصورة السلطان الموجودة على يسار المحراب، يوجد تحت القبّة المركزية دكّة المبلّغ المبنية بالرخام التي ترتكز على اثني عشر عمود رخامي بواسطة عقود مدببة ومفصصة، ويصعد إلى الدكّة عن طريق سلم يلتف حول عمود في الركن الشمالي الغربي، وتحت الدكّة توجد فسيفية من الرخام، وتحتل المكتبة مكانا على يمين مقصورة السلطان.

يتقدّم بيت الصلاة صحن ذو شكل مستطيل يحيط به رواق من أربع جهات، وتغطيه قباب نصف كروية ترتكز على 16 عمود رخامي.

يتكوّن المدخل التذكاري للجامع من إطار رخامي ذي زخارف متنوعة وصفوف من المقرنصات تضفي عليه جمالا سحريا، وتزيّن المدخل الرئيسي لوحات فسيفسائية رائعة الجمال التي تحمل كتابات بالخط النسخي، ويزيد من جمال المدخل أيضا تلك العقود ذات اللونين الأحمر والأبيض.

تحتل المآذن القلمية الأربعة أركان الجامع، وترتفع لتصل إلى 70,89م، وتحتوي كل مئذنة على ثلاث شرفات ترتكز على صفوف من المقرنصات، ويتم الصعود إلى تلك الشرفات ثلاثة سلالم متفرّقة، وذلك في المئذنتين على يمين ويسار المدخل الرئيسي.

يقول سنان باشا عن الجامع في كتابه "**تذكرة البنيان**" وترتفع المآذن الأربع عند أركان القبّة الأربعة، ولكنّها ليست غليظة كالبرج مثلما هو الشأن في جامع أوچ شرفلي، ولا يخفى بالطبع ما هناك من صعوبات تواجه بناء مآذن شاهقة كما في السليمة التي تضم كل منها في نفس الوقت ثلاثة سلالم منعزلة.

وإذا كان قد شاع بين المسيحيين بتفوقهم على المسلمين، لأنّه لم تقم في العالم الإسلامي كلّه قبّة تنافس قبّة آيا صوفيا، فقد حز في نفسي كثيرا أن يقال أنّ بناء قبّة بمثل ضخامة آيا صوفيا يكون من الأعمال العسيرة، ولهذا قرّرت مستعينا بالله إقامة هذا المسجد في عهد السلطان سليم خان جاعلا قبّته أوسع من آيا صوفيا بمقدار ستّة أذرع وأعمق بمقدار أربعة أذرع.